أسئلة دعوية

للعلامة الشيخ

محمد أمان الجامي

رحمه الله

س: الشباب الذين ينتمون إلى جماعات كيف ندعوهم؟

ج: يوجد من بعض الشباب الانتماء فعلاً إلى بعض الجماعات، طالما الجماعات موجودة فلا بد من وجود من ينتمي إليهم، فكيف العلاج؟

العلاج بالحوار العلمي الهادئ، دون محاربة، دون عداء، ولا أرى نصب العداء لهم، أرى الحوار العلمي الهادئ والمناقشة والتودد إليهم لتقربهم، التودد في مثل هذا الباب مطلوب، التودد غير المداهنة أن تجاملهم بالكلمات الطيبة وبالمعاشرة الطيبة، وبالمعاملة الطيبة، حتى تقربهم وتتفاهم معهم وتنصحهم، أما عداؤهم وتنفيرهم ليس من الدعوة؛ لأن كلهم يريدون في زعمهم العمل للإسلام ويخطئون وأنت تريد التصحيح، الذي يريد التصحيح لا يعادي من يريد أن يصحح له خطأه.

نعود مرةً أخرى إلى الجماعات.

وإذا ابتلينا بها لا بد من كثرة الكلام في الجماعات، لكن لو بحثنا لماذا الجماعات، ما الهدف لنكون جماعات ولهم جماعات؟ كلنا مسلمون وكلنا طلاب علم، وكلنا ندرس منهجًا موحدًا لماذا الجماعات؟ قد يكون الجواب: هذا اختلافٌ في منهج العمل ليس اختلاف في العقيدة، إنما نختلف في منهج العمل ومنهج عملنا أنجح من منهج عملكم، والآخرون يردون بمثل الجواب؛ يقولون: لا، منهجنا أنجح، وغالبًا ترتفع وتغيب الواقعية، لا ينظر الإنسان إلى الواقع، والمنتسبون إلى الجماعات يغلب عليهم التقليد، وأحيانًا تغلب عليهم الطاعة العمياء، لأن رؤساء بعض الجماعات يفرضون على أتباعهم الطاعة العمياء التي تشبه طاعة الروافض لفقهائهم؛ فقهاء الروافض زعموا أنهم نواب عن الإمام المعصوم والإمام المعصوم تجب طاعته، وبالتالي تجب طاعة رؤساء وفقهاء الشيعة، الحجج والآيات تجب طاعتهم امتدادًا من وجوب طاعة الإمام المعصوم، عند بعض الجماعات طاعتهم كهذه تمامًا، رؤساؤهم يقدسون أنفسهم فيفرضون الطاعة على أتباعهم،

يقولون: هذا أسلوب الدعوة، وإن لم يعمل المنتمون إلى هذه الدعوة بمثل هذه الطاعة العمياء لا يتم العمل.

لعل بعض الشباب التزموا لهم بهذه الطاعة العمياء وبايعوهم على هذه الطاعة العمياء، وبعد ذلك صعب عليهم أن يكونوا واقعيين وأن يطلعوا على عوراتهم وعلى أخطائهم ولو أُمروا يطيعون وهم يعلمون أنهم مخطئون، وهذا خطأ، لماذا تبيع عقلك؟ وتبيع فهمك لماذا؟

الجماعة المشار إليها عندها محاولة كبيرة في كسب الناس بهذه الطريقة، ثم إن هذه الجماعة تبعد الشباب عن الحياة العملية، لا وعظ ولا إرشاد، ولا تصحيح، ولا بيان السنة من البدعة والشرك من التوحيد، كل هذه أساليب منفرة عندهم، إنما الاستعداد والتربية لمتى؟ حتى يحين الحين لإقامة الخلافة العامة فوق كل أرض وتحت كل سماء، هذه الدعوة ليست عملية، هذا تضليل، بمعنى تترك الآن العمل الإسلامي لا تنصح، ولا ترشد، ولكن تنتمي فتخلص الطاعة للجماعة، حتى يؤذن بالجهاد يومًا ما، لرفع راية الإسلام، الراية العامة الخفاقة فوق كل أرض وتحت كل سماء، يعني رؤيا منامية، أماني كاذبة، يعيش عليها الشباب طول حياته، الذين كانوا في السبعينات ينادوا بهذا النداء منهم من مات ومنهم من انتهى فرجع إلى بيته لأنه كبر في السن، فنزل آخرون ويدعون بهذه الدعوة وينتهي دورهم، وينتهون، ويأتي آخرون.. وهكذا، وأنتم نشأتم أمس ولكننا عشنا مع القوم فترةً طويلة وجبرناهم ليسوا دعاة حقٍ إلى الإسلام أبدًا، وإنهم دعاةٌ إلى حركة سياسية طموحة للمدى البعيد.

ومن أساليبهم الإكثار من السب والشتم والطعن في الزعماء والرؤساء، حتى يتعرض الشباب للفتن، ويُجعلوا في السجون، بعد ذلك رؤساؤهم يأخذون الشنطة الدبلوماسية فينتشرون في العالم في مواقع القطر -وهم يعرفون مواقع القطر-: نحن فعلنا، نحن ضحينا بشبابنا، وشبابنا في السجن، ونحن فعلنا، يشحتون على حساب الشباب المتعقلين

المسجونين، ويعيشون بهذه الطريقة، هل هذه دعوة إسلامية؟ لا، هذا هو واقع كثيرٍ من الجماعات، كل إنسان مسئول عن الدعوة الإسلامية في نفسه، ما لك وللجماعات؟ ادعُ إلى الله بأسلوبك وبفهمك وفي حدود استطاعتك، وكن مع الجماعة الكبيرة، هذه الجماعات الانتساب إليها مع وجود الفوارق كالجماعات التي تفرقت في أواخر أيام الصحابة من الجماعة الإسلامية الكبيرة، تفرقت الشيعة وتفرقت الخوارج، وتفرقت القدرية، ثم تتابعت الجماعات والفرق، هذه الجماعات تشبه هذه الفرق مع وجود فوارق تعرفونها.

لذلك نصيحتي وهي نصيحة مجرب: عدم الانتماء إلى أي جماعة، والعمل للإسلام في ضوء المنهج الذي درست، المنهج الذي تدرسه هو منهج إسلامي، اعمل بهذا المنهج، وأنت مع الجماعة.

لكن لو أن المسلمين الذين يعيشون في أوروبا أو في بعض الدول غير الإسلامية أنشأوا هناك جماعة أو مركز إسلامي، جماعة إسلامية، لدعوة غيرهم إلى الإسلام، وهم جماعة واحدة لا جماعات هذا معقول، معقول إيجاد جماعة هناك، برئاسة إسلامية، ليدعوا الناس إلى الإسلام، أما إيجاد جماعات في بلاد إسلامية ولا دعوة إلا مجرد صياح وصراخ وقراءة أناشيد، هذه هي الدعوة الإسلامية؟ لا.

ما أعتقد أن أحد يصارحكم بمثل هذه الصراحة ولكني اضُطررت لمثل هذه الصراحة، لعلمي وجود بعض الشباب سواءٌ كانوا في الحاضرين أو في الغائبين من يغتر بمثل هذه الجماعات لكثرة الدعاية ويرى إن الدعوة الإسلامية على أوسع نطاق وبالمستوى العالمي لا يتم إلا بالانتماء إلى تلك الجماعة يوجد في شبابنا من ينخدع بمثل هذه الدعاية، لذلك اضُطررت إلى هذا التصريح.

نزيد على ذلك موقف إخواننا الجزائريين في عهدهم الجديد، لأنهم يعانون معاناةً شديدة من هذه الجماعات والاختلاف وكيفية التوفيق بين وجهات نظر تلك الجماعات ليكوِّنوا جبهة إسلامية أو حزب إسلامي، حيث فُتح لهم مجال لتشكيل أحزاب من أي

حزبٍ؛ الذي يشكل حزب إسلامي، أو يؤلف حزب علماني، اشتراكي، أو شيوعي، بربري، الكل جائز عندهم اليوم، فهذه قد تكون فرصةً نافعة وقد تكون ضارة، ندخل هذه المسألة في سؤال السائل.

بالنسبة للجماعات المختلفة الموجودة عندنا وعند غيرنا الاختلاف الذي كنا نتكلم فيه ما كنا نتطرق لموضوع العقيدة، كنا نبحث في العمل، ولكن كنت أحسب أن الأخ يفهم من ذلك لأنه يعيش في نفس المنطقة التي نعيش فيها أن الاختلاف في العقيدة حاصل.

بالنسبة للجماعة الإسلامية، تسمى في بعض البلدان الجماعة الإسلامية، وفي كثيرٍ من البلدان تسمى الإخوان المسلمين، هؤلاء الإخوان منهم من يعتقد عقيدة صحيحة على منهج السلف ويختلف مع السلفيين في منهج العمل، منهم من يختلف معهم حتى في العقيدة، قد يكون إخواني أشعري، إخواني ماتريدي، وفي الناحية العملية لا يلتزمون بالسنة، وربما يحبذون التفرق والتعصب للمذاهب لأن هذا هو الذي يرضي المجتمع، لأن الهدف عندهم إرضاء المجتمع وعدم إثارة المجتمع وألا يفعلوا ما يثير المجتمع، فقطعًا التعصب للمذاهب وتوزيع الناس على المذاهب الأربعة واعتقاد أن تقليد أحد المذاهب الأربعة واجب هذا يرضي المجتمع، هذا المجتمع التعبان الذي عاش على هذا فترة طويلة واعتقد وجوب التقليد، لذلك هم يحبذون هذا في الغالب الكثير، لكن يوجد فيهم من هو منصفٌ للسنة ومن هو يعتقد العقيدة السلفية الصحيحة بصرف النظر عن الجهل في بعض الصفات، الجهل في بعض نصوص الصفات وكون بعض نصوص الصفات تخفى على بعض الناس كإثبات صفة الفرح مثلاً وصفة العلو لأنهم عاشوا في أحضان الأشاعرة الذي يعتقدون أن الله في كل مكان، هذا قد يكون من باب أنها خفيت عليهم، الإخوان المسلمين وفي الجماعات الإسلامية -حسب اتصالي بهم في أكثر من قطر- يوجد فيهم من ينهج في العقيدة المنهج السلفي ومن هو خلفي، يوجد هذا وذاك.

طالما تعرضنا للجماعات نأتي إلى الجماعة الصغيرة الأخرى وهي جماعة التبليغ؛ هذه الجماعة في الغالب يغلب عليهم الجهل، حسب معرفتي ليس لهم منهجٌ موحد، تجدهم على منهج في بلد، وعلى منهجٍ آخر في بلدٍ آخر، لأني عرفتهم في أكثر من بلد ووجدتهم مختلفين في المنهج والعمل.

وعلى كلٍ؛ حديثنا السابق كان في مجال العمل، وأنا قلت غير مرة في هذا المجلس وقبل هذا المجلس: يجب على السلفيين أن يعتبروا الجماعات كلها محلاً لعملهم، ويعملوا فيهم، أي يعلموهم العقيدة، ويعلموهم العمل بالسنة؛ مفهوم هذا: أنهم في العقيدة ليسوا بشيء، وأنهم في العمل بالسنة ليسوا بشيء، أي بحاجةٍ إلى العمل والإصلاح كغيرهم وإصلاح عقيدتهم وإصلاح اتجاههم ومنهجهم في السنة، هذا هو الواقع، وهو الذي نعتقده ونعرفه من هذه الجماعات.

وبالنسبة لإخواننا الجزائريين توجد جماعة سلفية ولكن ينقصها الفقه في الدين، الفهم الصحيح لمنهج السلف، محبون للسلفية ويدعون إلى السلفية، الذي فهمت أنهم ينقصهم الفقه، وهذا أمرٌ ضروري، وتوجد جماعة الإخوان وجماعة التبليغ، هؤلاء الثلاثة يريدون أن يكوّنوا جبهة أو حزب مجتمعين، ولكن لقلة الفقه في الدين في الجميع ارتكبوا، ولم يستطيعوا أن يوحدوا صفهم مقابل الجماعات الأخرى أو مقابل الأحزاب الأخرى المناوئة للإسلام كالشيوعيين والعلمانيين وغيرهم من الأحزاب التي أُنشئت أخيرًا، ونحن عند ما نتكلم في هذا نتكلم من الناحية الدينية والنصيحة العامة دون تدخلٍ في السياسة المحلية الداخلية هناك.

نصيحتنا لإخواننا الجزائريين الذين يريدون الدعوة إلى الإسلام ويؤلفوا حزبًا إسلاميًا في البلد ألا يتعصبوا أولًا للألقاب: إخواني تبليغي سلفي، وإن كان السلفية ليست فرقة من الفرق ولا جماعة من الجماعات الحديثة، ولكن السلفية اتباع المنهج القديم الذي أنزله الله وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن إذا دعت المصلحة في قطرٍ من الأقطار ألا

يكرروا لفظة السلفية واكتفوا بالإسلام من حيث اللفظ مع عدم التنازل عن أي معنىً من المعاني السلفية عقيدةً وشريعةً وسلوكًا ليضموا إليهم الجماعات الأخرى تحت لقبٍ متفق عليه كالجبهة الإسلامية مثلاً والقيادة الإسلامية أو أي لقب، والجوهر محفوظ، ولكن تنازلت الجماعات كلها عن الألقاب التي عُرفت بها ليعملوا للإسلام متحدين، وخصوصًا في مثل هذه الفرصة؛ فرصة وجود أحزاب، بينما كان فيما سبق لا يوجد إلا حزبٌ واحد، وهذه فرصةٌ ينبغي ألا تضيع، تعصبًا لهذه الألقاب وللأغراض الشخصية، يجب أن يتنازلوا عن أي معنىً غير التمسك بالإسلام والمحافظة على العقيدة الإسلامية ومطالبة تحكيم الشريعة الإسلامية في البلاد والعباد على أي لقبٍ يتفقون عليه وهو لا يتنافى مع العقيدة السلفية والمنهج السلفي، وإن لم يطلقوا على أنفسهم السلفيين، هذا ما ننصح به إخواننا الجزائريين وغيرهم في كل بلد؛ لأن الجماعات انتشرت في الأقطار الإسلامية وغير الإسلامية.

وكما قلتُ سابقًا: إذا كان هناك عددٌ من المسلمين يعملون في غير البلاد الإسلامية، أو بلاد إسلامية ولكن مجرد انتساب، وأوجدوا هناك جماعة باسم السلفيين أو باسم جماعة الدعوة متحدين، هذه الجماعة إذا عينت لها أمير وجب طاعة أميرهم ويعملوا للإسلام والمسلمين باسم إما الجبهة الإسلامية أو الجماعة الإسلامية أو جماعة الدعوة أو الجماعة السلفيين... بأي لقب، ينبغي أن يكون النظر إلى الجوهر، لا إلى الألقاب ولا إلى الاصطلاحات، إذا حسنت النية وجوهر العقيدة والمنهج محفوظ لا يضر أبدًا التنازل عن الألقاب إلى لقبٍ يجمع الجميع، فيمكِّنهم من العمل الإسلامي، والله أعلم.

س: سائل يقول: بعض من ينتسب إلى الإسلام من الحكام قد ينكرون بعض تعاليم الإسلام، ويضطهدون الذين يريدون التمسك بالإسلام لإنكارهم لبعض واجبات الإسلام أُطلق عليهم أنهم كفار، وهل معنى ذلك أنه يُحكم عليهم بأنهم من أهل النار أم لا؟

ج: مسألة النار هذه نؤخرها، أخِّر عنك النار واحكم عليهم وابحث في إسلامهم وعدم إسلامهم، لأن مسألة دخول النار وعدم دخول النار تفهم من حكمك عليهم، من ارتد عن الإسلام ولو كان منتسبًا إلى الإسلام، ارتد عن الإسلام لانتقاصه للإسلام مثلاً ولانتقاصه لرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، وأرح نفسك، من مات على غير الإسلام، ارتد عن الإسلام ومات على ذلك قبل أن يتوب فهو في النار، لا تقول زيد أو عمرو، من ارتد عن الإسلام بانتقاصه الإسلام وبطعنه في رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في القرآن أو في القول بخلق القرآن، من كفر بهذه المكفرات ومات على ذلك فهو في النار، ولكن تتبع هذه العبارات؛ مثل: الحاكم الفلاني في النار، الحاكم الفلاني كافر، الحاكم الفلاني مرتد، هذا ليس أسلوبًا سليمًا في باب الدعوة، التنصيص على الأشخاص، ليس غرضك إصدار إحكام وإحصاء من يدخل النار ومن يدخل الجنة، أنت قصدك الدعوة والإصلاح، لماذا تنص على زيدٍ أو عمرو؟ ولماذا تتبع أسماء الحكام؟ وهل من الحكمة في الدعوة أن تتبع أسماء الحكام وفي أيديهم السلطة؟ في ذلك تنفيرٌ وإثارةٌ للفتن، ما عليك إلا أن تطلق القاعدة، هذه طريقة السلف، بالنسبة للتكفير كفِّر من تكفر بالقاعدة دون تعيينٍ لشخص، من دخل في هذه القاعدة فليكفر، ومن لم يدخل فلا، من انتقص الشريعة الإسلامية وقال: الإسلام لا يصلح اليوم للحكم بين الناس ولا بد من استيراد أحكام مرنة، ولا بد من العلمانية، أو قال: نحن علمانيون، لا نحكم بالإسلام، والقرآن غير كافٍ، أحكام القرآن غير كافية، من هذا القبيل من العبارات التي هي ردة، تقول: من فعل ذلك فهو مرتد، بصرف النظر هل هو حاكم أو محكوم، زعيم أو غير زعيم، عالم أو جاهل، طالما يعلم الحكم ولو كان غير متعلم من صرح بهذه التصريحات فهو كافر، بعد ذلك يحتمل أنه يتوب أو أنه يموت على تلك الردة، لذلك لا يحق لي أن أقول أنه من أهل النار من الآن، لماذا؟ لأني لا أعلم ما العاقبة، إن مات على ردته فهو من أهل النار مخلد، وقد يتوب، إذًا مسألة أنهم في النار أو ليسوا في النار لا ينبغي أن نتسرع فيها.

س: في هذه الحالة بالنسبة للطاعة كيف تكون طاعتهم؟

ج: من ارتد عن الإسلام فلا طاعة له لأنه ليس بمسلم، وإنما أُمرنا بطاعة ولاة الأمور الذين قد يعصون الله فيما دون الكفر والردة، يعني ولاة الأمور تجب طاعتهم والجهاد تحت لوائهم والحج معهم وعدم نزع يد الطاعة منهم ما أقاموا فينا الصلاة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، أي ما لم تصدر منهم عباراتٌ مكفرة ومن نواقض الإسلام. أما من ظهرت منه عبارات من نواقض الإسلام أو ترك الصلاة وحارب الصلاة، ورأى أن الصلاة من أسباب التأخر، وسلط مخابراته على الذين يترددون إلى المساجد ويجعلون عليه علامات الاستفهام لماذا يواظب على صلاة الفجر أو صلاة العشاء؟ لا بد أنه جاء من بلدٍ فلاني، هؤلاء ليسوا بمسلمين، لا طاعة لهم.

س: لمن تكون البيعة؟

ج: البيعة للحاكم المسلم لا للحاكم غير المسلم، البيعة للحاكم المسلم لا لزعيم جماعة، ولا لرئيس جماعة معينة، ولكن للحاكم المسلم وللأمير الذي أمرناه على أنفسنا، أو أمَّره المسلمون على أنفسهم في بلدٍ غير إسلامي فأنشأوا هناك جماعةً إسلاميةً أو حزبًا إسلامي فبايعوه، بيعته شرعية، وطاعته واجبة. يقولون: بايعناك على الكتاب والسنة، على العمل بالإسلام.

قلت: لا بيعة ولا طاعة إلا لحاكمٍ مسلم، أو لمن أمره عليه جماعة إسلامية في بلدٍ غير إسلامي يريدون إيجاد جماعةً إسلامية وحزب إسلامي هناك فأمَّروا عليهم يبايعونه على العمل بالإسلام وعلى العمل بالكتاب والسنة، فطاعته واجبة، وتنفيذ هذه البيعة.

س: وسائل الإعلام أساس كل فساد في العالم الإسلامي، فكيف حل هذه المشكلة؟

ج: هذا سؤالٌ وارد، لا نملك أمام هذا السؤال إلا أن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وسائل الإعلام في كل بلد –إلا ما شاء الله– يختلف الشر، ولكن أكثر الشر المستطير بين الشباب وفي النساء وفي المناهج من وسائل الإعلام، إلا أننا لا نملك العلاج، إلا اللجوء

إلى الله، وقد أُمرنا شرعًا أن ندعو لولاة الأمور، وهذا أمرٌ يغفل عنه كثيرٌ من الشباب، أُمرنا أن ندعو الله ليصلح ولاة الأمور ويوفقهم في مثل هذا الموقف الحرج أمام وسائل الإعلام التي أدخلت الفتن في كل بيت إلا ما شاء الله، لا نملك إلا الالتجاء إلى الله والدعاء لولاة الأمور المسلمين المقتنعين بالإسلام الذين يرضون بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولًا، لا نملك إلا الالتجاء إلى الله والدعاء لولاة الأمور بالإصلاح، وإلا ليس في أيدينا شيء لإصلاح وسائل الإعلام، والله أعلم.

س: ما الفرق بين تكفير المعين والتكفير بالقاعدة؟

ج: الفرق واضح؛ التكفير بالقاعدة تكفر وأنت مطمئن ولا تخاف على إيمانك، لأنك تطلق القاعدة، فمثلاً من قال إن أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما في النار فهو كافر، أطلق هذه القاعدة وأعلل لماذا؛ لأنه كذَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد شهد النبي عليه الصلاة والسلام لهما بالجنة، ومن قال لك: هما في النار فهو كافر، فليعش حيث شاء في الشرق أو في الغرب، فليكن من شاء وابن من شاء فهو كافر، وأنا مستريح في هذا التكفير لأني لم أكفر معينًا ولكني أطلقتُ القاعدة فليدخل من شاء في القاعدة، ومن شاء فليخرج، هذا تكفير بالقاعدة مريح.

أما تكفير المعين يحتاج شروط؛ إنسان ارتكب مكفرًا؛ شيء من نواقض الإسلام، لا بد أن تعرف هل تبين له الهدى فخالف أم لا، وهل له مانع من التكفير كشبهة حالت بينه وبين فهم حقيقة ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، وبالتحديد بين فهمه لهذه المسألة المعينة التي وقع فيها كأن قال: كلام الله اللفظي مخلوق، ننظر هل هذا الشخص تبين له الحق أو لم يتبين؟ إذا تبين له الحق هل توجد هناك شبهة غيّرت مفهومه أم لا؟ إذا لم توجد هناك شبهة وعرف الحق ولكن تعصب وبقي على مفهومه القديم الذي ورثه من مشايخه مع الاقتناع بأن ذلك باطل ولا توجد له شبهة نكفِّره، وهذا تكفير الشخص المعين؛ زيدٌ من الناس

ارتكب هذه الجريمة مع العلم وبيان الحق وعدم الشبهة نكفره ونحن مستريحون في تكفيره. وإذا كنا مترددين تبين له الحق أم لم يتبين؟ له شبهة أو ليس له شبهة؟ نتوقف.

س: سائل يسأل عن بعض الحكام الذين ينتسبون إلى الإسلام انتسابًا فيصلون مع الناس ويصومون شهر رمضان ولكن يقولون: الإسلام دين عبادة، دين صلاةٍ وصيام والشعائر الإسلامية الواضحة، ولكن بالنسبة للأحكام وخصوصًا في الاقتصاد وفي الحدود لا يصلح، الاشتراكية أصلح، والماركسية أصلح، والقانون الفرنسي أصلح ومرن لا يؤذي الناس، لا يقطع الأيدي، ولا يوسع الظهور ضربًا، ولا يقطع الرقاب، هذا هو المرن المناسب لهذا الوقت؟

ج: هذا كافرٌ مرتد ولو في صلاته.

س: ماذا تقول في الحديث الذي ثبت أن رجلاً فعل من المعاصي ولما حضرت وفاته طلب من أولاده أن يحرقوه ويرموه في البحر...، ما درجة هذا؟ هل الحديث صحيح أم لا؟ ثم إذا صح ما معناه؟ وإذا صح الحديث ما الهدف من وراء القصة؟

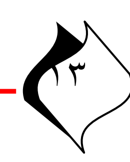
ج: السائل يسأل عن قصة الإسرائيلي، صاحب القصة كان رجلاً مسرفًا على نفسه، ورد في بعض الروايات أنه كان نباشًا يتتبع القبور فيأخذ الكفن فيبيعه، ولما حضرته الوفاة خاف من ربه سبحانه أنه يعاقبه على هذه السيئة وهذا الإسراف، فأوصى وقال لأولاده: **إذا أنا مت فأحرقوني واسحقوني، وارموني في اليم، لأن الله لو قدر عليّ** -هذا محل الشاهد- **لعذبني عذابًا لم يعذبه أحدًا من خلقه**، وفي بعض ألفاظ الحديث: لعلي أضل الله -يعني حتى لا يهتدي إليّ-، ففعلوا به، فيقول النبي عليه الصلاة والسلام: أمر الله الأرض وأمر الجهات كلها أن تخرج تلك الذرات، فجُمعت الذرات، وكُوِّن الرجل وبُعث، فسئل: ما الذي حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، اختلف أهل العلم في توجيه هذا الحديث.

هذا الحديث من أقوى أدلة شيخ الإسلام ومن ذهب مذهبه في أن الإنسان يُعذر بجهله في أصول الدين، ليس في الفروع فقط؛ لأن الرجل جهل عموم قدرة الله تعالى، لأن الله قادر على أن يجمع تلك الذرات ويبعثها، وكان يظن إنما يبعث الله من دُفن في الأرض أما من فُعل به مثل هذا لا يُبعث، جهل عموم قدرة الله، الإيمان بقدرة الله تعالى أصلٌ من أصول الإيمان، جهل هذا الجهل، فالله عذره، لما قال: "حملني على ذلك خشيتك" عذره الله فغفر له، هكذا يقول شيخ الإسلام، يقول: دائمًا أنا أكرر هذا الحديث مع خصومه، كلما يناظر في مسألة الصفات وإقناع الخصوم بالاكتفاء بأدلة الكتاب والسنة وتقديمها على العقل وعدم رفضها والاعتماد على العقل كانت مناقشته كثيرًا في هذا الباب، وكثيرًا ما تكون مع الأشاعرة، وكان يقول في أكثر مجالسه: أكرر هذا الحديث أي التماسًا للعذر للناس الذين يجهلون بعض المسائل الخفية، مسائل الصفات يعتبرها شيخ الإسلام من المسائل الخفية ووافقه على ذلك غير واحدٍ من أهل العلم، ومن أراد أن يطلع على ذلك فعليه بما أورده الحافظ بن حجر عند هذا الحديث في كتاب التوحيد، ربما تجدون أقوال أهل العلم هنا، منهم من يحاول أن يؤول الحديث تأويلاً يشبه تأويل أهل التأويل كابن الجوزي.

الشاهد: الحديث من أدلة من يقول إن المرء قد يُعذر بالجهل في أصول الدين، والله أعلم.

س: سائل يسأل يقول: إذا رأينا شخصًا لا يصلي هل نقول له: أنت كافر؟

ج: إذا رأينا من لا يصلي نقول له: تعال يا فلان، تعال صلِ، ندعوه إلى الصلاة ونعلمه الصلاة، ونعلمه عقوبة من ترك الصلاة، وأن من ترك الصلاة حكم عليه النبي عليه الصلاة والسلام بأنه كافر، لا تكفر يا فلان تعال صلِ، نحبب إليه الصلاة، وندعوه إلى الصلاة، ونذكر له كل ما نحفظه من الترغيب والترهيب، نحن دعاة، لسنا من وسائل الإعلام التي تعلن بالكفر: فلان كافر، فلان مشرك، لا، إنما ندعو أولًا إلى الصلاة ونتودد إليه ونقربه، لا تقول له: أنت كافر، بل قل له: تعال، وأجلسه عندك، قربه إليك، حتى يشعر بأنك ترحمه



وتشفق عليه، هذه النقطة مهمة؛ الناس الذين تدعونهم إلى الإسلام وإلى التمسك وإلى الإصلاح لو شعروا منكم الرحمة والشفقة لاستجابوا، لكن إذا أحسوا منكم الغلظة والشدة والأنانية وأنك تفتخر بالتزامك وصلاحك، وتحتقره لعدم التزامه ولارتكابه المعاصي ابتعد، أهم شيء أن يشعر الشخص الذي تدعوه إلى الله وإلى الصلاة بأنك صاحب رحمةٍ وشفقةٍ عليه، لذلك تستجيب الناس من الدعاة الذين فيهم لين، وتشرد من الدعاة المتشددين، يسروا ولا تعسروا.

وإذا رفض قدِّمه لغيرك، ربما استنكر أسلوبك، ربما رآك أنك طالب علم صغير، لا تقل له: أنت كافر، لا يجوز هذا، لا تعين عليه شيطانه.

انتبهوا لمسألة الكفر بترك الصلاة، تكفير تارك الصلاة، يجب أن تعلموا في ذلك أقوال أهل العلم ومواقف أهل العلم، وما يفتي به كثيرٌ من الناس؛ كثيرٌ من الناس خصوصًا الشافعية –لا الشافعي– يقولون: ترك الصلاة معصية وليس بكفر، هذه شبهة عظيمة، كثير من الفقهاء يعلنوا للعوام أنت مسلم وترك الصلاة معصية فقط، لا تسمع لهؤلاء المتشددين، أنت عاصي، لكن تب إلى الله ولست بكافر، وأنت تأتي تقول له: أنت كافر، والذي قال له: أنت عاصٍ بعمامته شيخ كبير وأنت طالب صغير، لا يسمع لك.

إذًا الشاهد بالجملة: مسألة التكفير بترك الصلاة ليست محل إجماع، الأئمة الثلاثة على أنه لا يخرج عن الإسلام ما لم يجحد وجوبها، لم يصرح بكفر تارك الصلاة كسلاً وتهاونًا بدون أن يجحد إلا الإمام أحمد من الأئمة الأربعة المشهود لهم بالإمامة، ما دامت المسألة بهذه المثابة ما قلناه قبل قليل جاء، هذه شبهة، وهذه الشبهة تحول بينه وبين الكفر؛ لأنه منذ وُلد ومنذ أن اجتمع بالعلماء يسمع أن ترك الصلاة ليس بكفر وإنما هي معصية، وأنت اليوم جئت قلت له: هذا كفر، يقول: هذا مشدد فلا يسمع لك.

س: ذكرت أنه ينبغي على السلفيين أن يكونوا مرنين، والبعض يفسر. هذه المرونة بأنه مثلاً لو خرجنا في رحلة فينبغي أن نستخدم بعض المناهج الأخرى مثل الأناشيد، ولو

كانت هذه الرحلات مثل هذه الرحلة من أولها إلى آخرها ذكر وهذا يسبب الملل، فينفر هؤلاء الشباب، فنريد توضيح مقصدك بهذه المرونة، هل هو ما يقصده هؤلاء الناس؟ وما رأيك في هذه المرونة التي يذكرونها؟

ج: من كلام أهل العلم لكل مقامٍ مقال، وأنت سمعتَ مني هذه العبارة، ينبغي أن يكونوا مرنين، وأنا أتحدث في موضوعٍ معين، وهو وجود أحزاب وجماعات منتسبة إلى الإسلام ومختلفة في الاتجاه يريدون أن يكوِّنوا جبهة إسلامية أو حزبًا إسلاميًا، فيهم الإخوان وفيهم السلفيون وفيهم التبليغيون، قلت للإخوة: ينبغي أن يكون السلفيون مرنين، ما معنى المرونة هنا؟ لا يتعصب للفظة السلفية، وإذا دعت الحاجة إلى التنازل من هذا اللقب إلى جبهة إسلامية وجماعة إسلامية وحزب إسلامي طالما الجوهر محفوظ ينبغي أن يفعلوا ذلك، هذه المرونة التي أعنيها، والشباب فهموا مني هذا المعنى.

وليس معنى المرونة أن يتنازل السلفيون عن عقيدتهم، وعن سلوكهم، وعن دعوتهم، ويداهنوا الجماعات الأخرى بدعوى التجميع، ليس من عادة السلفيين قديمًا وحديثًا التجميع، إنما الإصلاح.

ومن المرونة ما قلته الآن؛ معنى المرونة: أن يكون الداعية مؤثرًا ومبشرًا لا يكون منفرًا ومتشددًا، هذه من معاني المرونة، المرونة كلمة مطاطة، لك أن تفسر بتفاسير وهذه منها؛ أن تراعي ظروف الناس والشبه وعدم التبين عند ما تحكم على الناس بأحكام، وألا تصدر الحكم قبل أن تعرف ظروف المحكوم عليه هل هو ممن يُعذر بجهله أو لا؟ وهل له شبهة؟ وهل تبين له الحق أو لم يتبين؟ دراستك لهذه المعاني وإدراك ذلك ثم إصدار الحكم على بصيرة هذا من المرونة.

وإذا كنت تريد أن تفسر بالمرونة أن يتفق السلفيون مع الآخرين في بعض الأمور التي لا محظور فيها، مثلاً إذا ملت الناس من كثرة الكلام ومن كثرة الأسئلة ومن كثرة الإجابات يأتون بأناشيد؛ أناشيد فيها نوعٌ من إدخال السرور على الناس والترويح على الناس، أناشيد

إما كأبيات لابن القيم في حادي الأرواح التي تحدو الناس إلى بلاد الأفراح، إلى الجنة، أو قصائد فيها الحث على الجهاد، قصائد فيها الحث على الكرم والسخاء، قصائد فيها الحث على التمسك بالسنة، المهم أنها قصائد لها هدف ولها معنىً، وليس بلازم أن يلتزم الشباب قصيدة معينة تهدف هدفًا معينًا كالشرق لنا والغرب لنا والدنيا كلها لنا، لا، ما نعني هذا، ليس لنا شرق وليس لنا غرب، الشرق والغرب لله، ونحن عباد الله ندعو إلى دين الله، القصيدة التي منها هذا العجز من البيت قصيدةٌ فيها معاني سياسية طموحة، نحن لا نريد أن ندعو الناس إلى أن نشغل السياسة، السياسة مشغلة من أصيب بحب السياسة ينسى كل شيء ويستبيح الوسائل غير المباحة، وفيها الكذب وفيا التملق وفيها التحبب إلى من يلعنه قلبك، تتحبب إليه بلسانك وبأفعالك وبقلبك تعلنه، هذه السياسة الجارية الآن عند كثيرٍ من الناس، نحن لا نريد أن ندعو الشباب إلى هذا الأسلوب.

والقصائد التي ممكن للإنسان أن يستعملها في الأسفار الطويلة إذا مل من قراءة القرآن -ولعله لا يمل، وإذا مل من الكلام الكثير ليقطع المسافة يختار القصائد المناسبة التي فيها معاني إسلامية غير متحيزة لجماعةٍ معينة إسلامية عامة، لا بأس باستعمال مثل هذا، إن كنت تريد بهذه المرونة هذا المعنى فنحن مرنون إن شاء الله.